المسلمين، خاصة بعد انسحاب طيّئ من التحالف. وفوق ذلك، فالقبائل المتحالفة ووجهت، لأول مرة في تاريخها، بنمط جديد من الحرب. فهذه لم تكن غزوة، من النمط الذي اعتادوا عليه، وبالتالي هيّأوا أنفسهم له، فتمحور نشاطهم العسكري حوله. هذه الحرب كانت تهدف إلى إخضاعهم الدائم. وحاملو لوائها كانوا أصحاب قضية، وبالتالي خططاً طويلة الأمد. وعدا ذلك، فالتحالف المناوئ للمدينة كان يشكو من نقطة ضعف أخرى، وهي غياب القيادة الكفؤة لإدارة الصراع.

وبالمقارنة مع الرسول، الذي وضع لجماعته نظاماً فاعلاً لإدارة حياتهم الدينية والسياسية، فإن طلحة، قائد التحالف في البزاخة، والذي تسميه المصادر الإسلامية "نبياً كاذباً"، لم يقدم لأتباعه شيئاً في مواجهة الدعوة الإسلامية الجذابة. وإذا كان طلحة ادَّعى النبوة أصلاً، فإننا، بغياب المعلومات، لانستطيع تكوين فكرة عن تعاليمه. ومن النتف الواردة في المصادر حول تنبؤاته، يبدو عرَّافاً وليس نبياً. وإذا كان طلحة أراد ركوب موجة الحماس للأنبياء، التي اجتاحت الجزيرة آنذاك، فالأكيد أنه وصل متأخراً ليكون بمقدوره التأسيس لقيادة، وتحشيد الدعم والولاء، بما يؤهله للصمود في وجه الدعوة الإسلامية الجارفة. والتحالف الذي شكله على عجل، انهار في المواجهة الأولى مع جيش المسلمين، بقيادة خالد بن الوليد.

وسيرة "النبية الكاذبة"، العرافة سجاح، أكثر غموضاً وتشويهاً في المصادر من سيرة طلحة. لقد ظهرت في تلك الفترة في قبيلة تميم، الأمر الذي زاد من حدة الصراع بين الفئات المختلفة من تلك